

# أخبرني

قصة  
بظهورهم سادويدي  
ترجمة محمد عبد الله السفتي

كبيرة في الواجهة لاقوات الظهيرة الطويلة ، والامسيات الطويلة فسي الصيف ، حجات عامرة بالموائد والكراسي والاسرة . بيانو ، موقد ، صور معلقة على الحائط ومنزوعة من صحيفة « ساندراي ايفنج بوست » كان شيئاً غريباً ومعجزاً ، ان يكون المرء في مكان ما من هذا العالم . ان يكون حياً ، يتحرك في الزمان والمكان ، في الصباح والظهيرة ، والمساء ، ان يتنفس ويتقيأ ويتكلم وينام وينمو ، ان يرى وان يسمع وان يلمس . ان يضرب في انحاء العالم تحت اشعة الشمس . ان يكون في المكان . في العالم .

سرني ان العالم موجود ، لكي يصبح في مقدوري ان اكون موجودا بدوري ، كنت وحدي ، ولهذا شعرت بالحزن من اجل كل شيء ، غير انني كنت مسرورا ايضا ، لا فارق هناك على العموم . كنت مسرورا جدا من كل شيء الى حد انني كنت حزينا ، كنت مسرورا جدا وحزينا جدا من كل شيء ، ولذا اجتاحتني الرغبة في ان احلم بهذا كله : بالاماكن التي لم ارها في حياتي . اجتاحتني الرغبة في ان احلم بمواضع العالم السحرية : نيويورك ، لندن ، باريس ، برلين ، فيينا ، القسطنطينية ، روما ، القاهرة ، والشوارع ، والبيوت ، والناس الاحياء ، والابواب والشبابيك في كل مكان . واللحظات التي تومض من بين الاعوام الخوالي كلها ، والمدن التي دفنت في مقابر الزمن ، والبقاع المتعفنة الفانية ، ماكان موجودا مات موتة ابدية وعاش في الوقت نفسه الى الابد ، لان كسل ماهو حي على الارض يحيا الى الابد . آه ، يا يسوع المسيح ، في عام ١٩١٩ ، وفي يوم من ايام هذا العام رايت حلما : رايت فيما يرى النائم ان الصيرورة والتحلل والموت اشياء لم يعد لها وجود . ورايت فيما يرى النائم ان الشمس في السماء الى الابد ، وان العالم دافئ ، الى الابد .

وفجأة هبط العصفور من فوق الشجرة وحط على رأسي وحاول ان يني عشا في شعري ، وصحوت من نومي .

وفتحت عيني ، غير انني لم احرك ساكنا .

لم اعرف ان هناك طائرا داخل شعر رأسي الا عندما بدأ العصفور يفي ، ولم يسبق لي ، في حياتي كلها ، ان سمعت صيحة طائر بمثل هذا الوضوح ، وما سمعته كان مدهشا وجديدا ، وفي نفس الوقت طبيعيا جدا وقديما . غنى الطائر ببساطة ، ولكن خيل الي انه يفي قائلا : فلتبك فلتبك ، فلتبك ، اوه ، فلتبك ، ليس امامك مانفعل سوى ان تبكي . غير ان الطائر افصح عن هذه الرسالة العزينة بروح مرحة للغاية . فبسل ان يحط الطائر على رأسي لم تكن هناك في العالم نامة وفجأة ها انذا اسمع موسيقى العصفور وبلاغته ، وبدا لي لحظة ، وانا بين النوم واليقظة ، ان الامر كله لا يعدو ان يكون شيئاً طبيعياً : لا غرابة في ان يكون الطائر داخل شعر رأسي ، ولا غرابة في كونه يتحدث الي ، ولا غرابة في التناقض الملحوظ بين معنى الرسالة وطريقته في ادائها ، رسالة حزينة ، وتادية مرحة .

قالت مس جاما ان شعر رأسي في حاجة الى حلقة ، وقالت امي ان شعر رأسي في حاجة الى حلقة ، وقال لي أخي كريكور ان شعر رأسي في حاجة الى حلقة : العالم كله يطلب مني ان احلق شعر رأسي . كانت رأسي ضخمة بصورة لا يحتملها العالم ، سبعة وسبعة اثمان ، وربما ثمانية وسبعة اثمان . وشعر اسود كثيف جدا ، هذا ماقاله العالم .

وكل انسان يسألني : متى ستحلق شعر رأسك ؟

وكان هناك في مدينتنا رجل اعمال كبير يدعى هنتجتون ، وقد تعود ان يشتري مني يوميا ، نسخة من جريدة « الايفنج هيرالد » ، كان هذا الرجل يزن مئتين واربعين رطلا ، ويمتلك عربتين « كاديلاك » ، وستمائة فدان من الارض - تقريبا - مزروعة كروما ، واكثر من مليون دولار في بنك فالي ، وكان يمتلك ايضا رأسا صغيرا ، خال من الشعر تماما ، رأسا ملتصقا ببدنه مباشرة ، وبذا يستطيع الجميع مشاهدته .

وتعود ان يجعل عمال السكك الحديدية يتقاطرون افواجا من خارج المدينة ويعبرون في سيرهم ستة « بلوكات » ، لا تشيء الا ليتفرجوا على رأسي . وتعود ان يصبح في الشارع قائلا : لماذا لا تذهب السبي كاليفورنيا ؟ هناك نجد المناخ الجميل ، والصحة . كما تعود ان يزار : يا الهي ، ها هي رأس بها شعر !

وكانت مس جاما تشعر بغضب شديد ازاء ضخامة رأسي ، وذات يوم قالت : لن اذكر أسماء ، ولكن اذا لم يقم احد فتيان هذا الفصل بزيارة الحلاق في يوم من هذه الايام ليحلق له شعر رأسه فسنرسله الى الاصلاحية .

لم تذكر أسماء ، واكتفت بان تطلعت نحوي .

وتساءل أخي كريكور : ماهي الفكرة الخطيرة التي تكمن وراء رفضك؟

وقلت : تذكر شمشون ، تذكر غضب شمشون عندما أزالوا شعر رأسه .

وقال أخي كريكور : هذه مسألة اخرى ، أنت لست شمشونا .

وقلت : اوه ، لست شمشونا ؟ من ادراك بانني لست شمشونا ؟ ما الذي يجعلك تعتقد انني لست شمشونا ؟

وسرني ان العالم مقلناظ مني ، ولكن حدث ذات يوم ان حاول عصفور بناء عشه في شعر رأسي ، ولذا اسرعت الى المدينة وبمست وجهي شطر حلاق ، كنت نائما فوق العشب تحت شجرة جوز في فناء منزلنا واذا بعصفور يهبط من فوق الشجرة ويشرع في تحسس طريقه داخل شعر رأسي . كان يوما دافئا من ايام الشتاء ، والعالم يقط في النوم . كان كل شيء في العالم ساكنا جدا . لم يكن هناك انسان يتدفع حولك بسيارته ، ولم تكن تسمع الا صمت الواقع ، صمنا دافئا منعشا ، صمنا فرحا حزينا . العالم ، آه يا الهي ، كان جميلا ان يكون المرء حيا في مكان ما ، وكان رائعا ان يكون للمرء بيت صغير في العالم : شرفة

اليه ، وليس وراءنا عمل ننجزه ، وشعرك لن ينمو عما هو في غضون ساعة .

وجلست وضحكت بالارمنية ، وشرع هو يحدثني عن العالم حدثني عن خاله الذي ولد في بلدة موسن .

وشربنا القهوة وبعدها جلست على الكرسي وبدأ يقص شعر رأسي . لقد كانت أسوأ حلقة في حياتي ، أسوأ من حلقة كلية الحلاقين الواقعة وراء الخط الحديدي ، وهي التي كنت اذهب اليها لاحلق بالمجان . غير انه حكى لي قصة خاله المسكين ميساك ، ولا يستطيع اي تلميذ في كلية الحلاقين الواقعة وراء الخط الحديدي ان يحكي قصة كهذه . ولو اجتمعوا كلهم لما استطاعوا ان يحكوا مثلها . ولن يدهشني ان يعجز كل التلامذة الحلاقين في انحاء العالم عن حكاية قصة تداني تلك القصة الحزينة ، قصة خاله المسكين ميساك ونمر السبرك . خرجت من محله بحلقة رديئة جدا ، غير انني لم أعبأ بهذا . انه ليس حلاقا على كل حال . كل مافي الامر انه يتظاهر بانه حلاق حتى لاتضايقه زوجته كثيرا . كل ما في الامر انه كان يحلق للناس ليرضي للعالم . اما الذي يريد هو حقا فهو ان يقرأ ويتحدث مع الناس الطرفاء . وكان له خمسة ابناء ، ثلاثة فتيان وفتاتان ، غير انهم جميعا مثل زوجته ، ولم يكن في مقدوره ان يتحدث معهم ، كل ما يريدونه منه هو ان يعرفوا : كم يكسب ؟

وحدثني قائلا : ولد خالي المسكين ميساك في مدينة موسن ، كان ذلك منذ زمن بعيد ، وكان في صباه متوحشا جدا ، غير انه لم يكن لصا . كان متوحشا مع الذين يظنون انهم اقوياء ، وكان في مقدوره ان يعارض اقوى شابين في المدينة كلها ، بل وبصارع - اذا اقتضى الامر - اباهم وامهاتهم في نفس الوقت . وقال الحلاق : واجدادهم وجدانهم ايضا .

ونتيجة لهذا قال الجميع لخالي المسكين ميساك : ميساك ، انك قوي ، فلماذا لاتشتغل بالمصارعة وتكسب منها ؟ وهكذا صار ميساك مصارعا . وكسر عظام ثمانية عشر رجلا قويا ولما يبلغ العشرين من عمره بعد . اما نفوده باكملها فكان ينفقها في الاكل والشرب ويعطي الباقي لابنائها ، لم يكن يريد نقودا .

وتهد الحلاق ، آه ، كان هذا منذ زمن بعيد جدا . اما الان فالجميع يريدون نقودا . وقالوا لخالي : ستندم في يوم من الايام ، وكانوا على صواب بالطبع . لقد اشاروا عليه بان يحرص على ماله لان قواه ستخونه في يوم من الايام وساعتها سيعجز عن المصارعة ولن يكون لديه مال . وحين ذلك اليوم بالفعل . بلغ خالي المسكين ميساك الاربعين من عمره ولم يعد قويا ، ولم يكن لديه مال . وكان ان ذهب الى برلين . آه ، هاك بقعة من بقاع العالم ، برلين . وهناك ايضا ، كاد خالي المسكين ميساك يموت من الجوع .

وثناء هذا كله كان الحلاق يقص شعري ، ذات الشمال وذات اليمين وكان في مقدوري ان المح الشعر الاسود ملقى على الارض وأحس برأسي تزداد برودته من اثر تعريضه للجو . وتزداد ضالته ايضا . وقال الحلاق : آه ، برلين ، تلك العاصمة القاسية ، شوارع وشوارع ، بيوت وبيوت ، اناس واناس ، ومع هذا لم يكن هناك باب امام خالي المسكين ميساك ، ولا حجرة ، ولا مائدة ، ولا صديق .

وقلت : آه ، يا الهي هذه العزلة التي يعانيها الانسان في هذا العالم . هذه العزلة المفجعة التي يعانيها كل من هو حي .

وقال الحلاق : وتكررت القصة في باريس ، وتكررت في لندن ، وتكررت في نيويورك ، وتكررت في امريكا الجنوبية ، وتكررت في كل مكان ، شوارع وشوارع ، بيوت وبيوت ، ابواب وابواب ، ولكن لا مكان في هذا العالم كله لخالي المسكين ميساك .

غير انني اكتشفت فجأة ان هذا التصرف غير لائق ، لم يكن من اللائق ان يجيء طائر صغير ليصق بجناحيه ثم يحط على شعر اي انسان .

ولهذا ففزت من مكاني واسرعت الى المدينة ، وانزعج العصفور بالطبع ، فطار باقصى ما يستطيع الطيران في نفس واحد .

كان العالم على صواب ، وكانت مس جاما على صواب . وكان اخي كريكور على صواب ، لم يكن امامك الا ان تحلق رأسك حتى لاتحاول العصافير بناء اعشاشها في شعرك .

وكان هناك ، في شارع ماريبوزا ، حلاق ارمني يدعى آرام ، وهو مزارع بطبيعة الحال ، وربما كان حدادا ، وربما كان فيلسوفا . لا اعرف كل ما اعرفه ان له محلا صغيرا في شارع ماريبوزا وانه يقضي معظم وقته في مطالعة صحيفة « اسباريز » وغيرها من الصحف الارمنية ، وفي لف السجائر ، وتدخينها ، ومراقبة الناس وهم يهرون امام محله . لم اراه ابدا يحلق شعر رأس انسان ، او ذقنه ، ولكن يخيل الي ان زبونا او زبونين دخلا محله خطأ ، بمنتهى البراعة .

ذهبت الى محل آرام في شارع ماريبوزا وابقظته . كان جالسا الى مائدة صغيرة عليها كتاب ارمني مفتوح ، وكان يفظ في النوم .

وبالارمنية قلت له : هل تسمح بقص شعري ؟ معي خمسة وعشرون سنتا .

وقال : آه يسمعني ان اراك ، ما اسمك ؟ اجلس . ساعد لك القهوة اولا ، آه ، ما اجمل شعر رأسك هذا .

وقلت : الجميع يريدون ان احلقه .

وقال : هذه هي طريقة العالم . الناس يملون عليك دائما مانفعله . ماعيب كمية من الشعر ؟ لماذا يملون على الانسان تصرفاته ؟ يقولون لك : تكسب . اشتر مزرعة ، اعمل كذا . اعمل كيت ، انهم يحولون بين المرء وبين ان يحيا حياة هادئة .

وسألته : هل تستطيع ان تقصه ؟ هل تستطيع ان تزيله كله حتى يمضي وقت طويل دون ان يتحدثوا عنه مرة ثانية ؟

وقال الحلاق : القهوة ، فلترتشف قليلا من القهوة اولا .

وكان هناك ، في مؤخرة المحل مستودع الجاز ، وبالوعة ، وانبوية تصريف ، ورف صفت فوقه فتاجين صغيرة وأطباقها ، وملاعق ، وفتاحة علب ، وخلافه .

وناولني فتجانا من القهوة ، وسالت نفسي في دهشة : لماذا لم ازره من قبل ، وهو على ما يبدو اطرف رجل في المدينة كلها ؟ لقد تأكدت انه رجل فريد من طريقة استيقاظه عندما دخلت المحل ، ومن طريقة كلامه ، وسيره ، وحركاته ، وعرفت انه رجل فريد جدا في هذا العالم ، انه حلاق في شارع ماريبوزا . كان في حوالي الخمسين من عمره ، اما انا ففي الحادية عشرة . لم يكن اطول مني ، ولا اقل وزنا ، غير ان وجهه وجه رجل اكتشف الحقيقة ، رجل يعرف من هو الحكيم ، ومع ذلك يحب الناس ويعطف عليهم .

ولكان نظرتة ، عندما فتح عينيه ، لكانها تتساءل : العالم ؟ انسي اعرف كل شيء عن العالم ، اعرف الشر والشقاء ، الكراهية والخوف ، القذارة والغبوة ، ومع هذا احب العالم ، بكل ما فيه .

ورفعت القدح الصغير الى شفتي وارتشفت السائل الاسود الساخن كان مذاقه احلى من اي شيء تفوقته في حياتي .

وقال بالارمنية : اجلس ، اجلس ، اجلس ، ليس وراءنا مكان نذهب

هذا الشهر

## كتاب هام وطريف

يكشف الستار عن كثير من الحقائق

والاوضاع الخفية في بلاد

# اليمن السعيدة

بقلم الكاتب الالماني

هانز هالفيتز

ترجمة صلاح كامل

- مفاوضات كاتب الماني بين السجن والمطاردة والبحث  
عن آثار ملكة سبا

- اطرف كتاب يتحدث عن الحالة السياسية والاجتماعية  
في بلاد (( اليمن السعيدة )) التي تظل مغلقة دون  
الحضارة .. ودون الجميع

منشورات دار الاداب

وصلت من اجل خاله المسكين وقلت : آه ، يا الهي ، احمه يا ابانا  
الذي في السموات ، احمه .

وقال الحلاق : وفي الصين التقى خالي ميساك برجل عربي يعمل  
مهرجا في سيرك فرنسي ، ودار بين المهرج العربي وخالي حديث باللفة  
التركية ، وقال المهرج : ياخ ، هل تحب الانسان والحيوان ؟ وقال  
خالي : يا اخ ، انني احب كل ماهو موجود في سموات الرب المقدسة ،  
احب الناس والحيوانات والسمك والطيور والصخر والنار والماء وكسل  
ماتراه العين وما لاتراه . وقال المهرج العربي : يا اخ ، هل تحب الحيوان  
حتى ولو كان نمرًا ، نمر غابة كاسر ؟ وخالي قد رد عليه بقوله : ياخ،  
ان حبي لنمر الغابة الكاسر حب لايعرف الحدود .

آه ، كان خالي ميساك رجلا شقيا .

وقلت : يا الهي .

شد ماكان فرح المهرج العربي عندما سمع بحب خالي لحيوانات الغابة  
التوحشة ، فلقد كان بدوره رجلا شجاعا جدا . وقال لخالي : ياخ ،  
هل يبلغ حبك للنمر انك تضع رأسك داخل فمه وهو يتشاب ؟

وصلت من اجل خاله : احمه يا الهنا .

وقال آرام الحلاق : رد عليه خالي بقوله : استطيع ان افعل ذلك .

وساله المهرج العربي : ياخ هل تنضم الى السيرك ؟ بالامس اطبق  
النمر فمه - في غير اكرات - على رأس سيمون بيريجورد المسكين ،  
ولم يكن هناك في السيرك شخص يحب مخلوقات الرب الخالد حسب  
بيريجورد لها . لقد سئم خالي ميساك هذا العالم ، وكان ان قال : ياخ  
سأنضم الى السيرك وسأضع رأسي داخل الفم المتشاب للنمر الرب  
المقدس ، اثنتي عشرة مرة يوميا ، وقال المهرج العربي : لاداعي لهذا .  
تكفي مرتان يوميا . وهكذا انضم خالي المسكين ميساك الى السيرك  
الفرنسي في الصين ، وشرع يضع رأسه داخل فم النمر اثناء تناؤبه .

وقال الحلاق ، وانتقل السيرك من الصين الى الهند ، ومن الهند  
الى افغانستان ، ومن افغانستان الى ايران ، وهناك ، في ايران ، حدث  
ماحدث . كانت اواصر الصداقة المنيئة قد انعدت بين خالي المسكين  
ميساك والنمر . غير ان النمر استحال الى حيوان متوحش مرة اخرى  
في طهران ، تلك المدينة العجوز المتداعية ، كان يوما شديد الحرارة ،  
وكل شخص على استعداد للشجار ، وكان النمر غاضبا جدا ، وظل يجري  
هنا وهناك طيلة النهار في طهران ، تلك المدينة الايرانية القبيحة المتعفنة  
وضع خالي المسكين ميساك رأسه داخل فم النمر المتشاب ، وهم باخراج  
رأسه من فم النمر ، غير ان النمر ، وقد سئم بشاعة كل ماهو حي على  
وجه الارض ، اطبق فكيه على رأس خالي .

ونهفت من فوق الكرسي ، ولحت في الرأة شخصا غريبا ، لحت  
نفسى كنت مفزوعا ، اما شعري فقد ذهب بأكمله . ودفعت لارام الحلاق  
خمسة وعشرين سنتا وعدت الى منزلي ، وضحك الكل على منظري ، وقال  
اخي كريكور انه لم ير في حياته ابدا حلقة طائشة كهذه .

ومع هذا ، لم اتضايق .

اما الذي شغل ذهني طيلة اسابيع متعددة فهو ميساك المسكين ،  
خال الحلاق ، ذلك الرجل الذي قسم نمر السيرك رأسه ، واخذت اتطلع  
الى اليوم الذي يحتاج فيه شعري الى مقص الحلاق مرة اخرى ، حتى  
اذهب الى محل ارام لاستمع اليه وهو يحكي قصة الانسان على هذه  
الارض ، الانسان الضائع الوحيد الذي يعيش في الخطر دائما ، ولاستمع  
اليه وهو يحكي القصة الحزينة ، قصة خاله المسكين ميساك - تلك القصة  
الحزينة التي يعيشها كل انسان حي .

ترجمة : محمد عبدالله الشفقي